التنظيم السري للحركة الاباضية في العصر الاموي

م.د مصطفى سالم حازم
جامعة البصرة ـ كلية الآداب ـ قسم التاريخ

الملخص:
تعد الحركة الاباضية واحدة من الحركات الدينية التي انبثقت من الفكر السياسي والديني الذي تبناه الخوارج بعد معارضتهم لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) نتيجة لما حصل في معركة صفين ومسألة التحكيم سنة (٣٧هـ / ٦٥٧م)، وبالتالي تكفيرهم لكل المسلمين المخالفين لنهجهم، وقيامهم بتبني منهج العمل السياسي العلني والصدام المسلح مع السلطة ، فكانت من نتائج هذا الصدام أن تعرض أتباع الفكر الخارجي وقادتهم للقتل والبطش والإبادة، مما حدا ببعض رجالات الخوارج ممن عرفوا بميولهم نحو الاعتدال تجاه الفرق والجماعات الإسلامية الأخرى، من أن يسلكوا آلية التنظيم السري في العمل السياسي والديني والمالي في سبيل المحافظة على أتباعهم وضمان نشر أفكار الحركة بطريقة آمنة، وكسب أكبر عدد من المسلمين لهم وتوسيع رقعة أنتشار المذهب. فأبتكر الإباضين طرق وأساليب جديدة لم يعهدها أتباعهم من قبل كي يكونوا بمأمن من أنظار السلطة وجواسيسها. مما مكنهم ذلك من أنتشار مبادئ الحركة وأصبحت واحدة من الفرق الإسلامية التي أسست لقيام دول مستقلة في عمان وفي المغرب العربي.

كلمات مفتاحية: (١) التنظيم السري (٢) الحركة الاباضية (٣) العصر الاموي

Research title: The Secret Organization of the Ibadi Movement in the Umayyad Era Vision

The Ibadi movement is one of the religious movements that emerged from the political and religious thought that the Kharijites adopted after their opposition to the Commander of the Faithful Ali bin Abi Talib (peace be upon him) as a result of what happened in the Battle of Siffin and the issue of arbitration in the year (37 AH), and thus their atonement for all Muslims who violated their approach, and their adoption An overt political action approach and an armed clash with the authority. One of the results of this clash was that the followers of external thought and their leaders were subjected to murder, oppression and extermination, which prompted some Kharijites who were known for their tendencies towards moderation towards other Islamic groups and groups from adopting the secret organization mechanism in political .and financial work

In order to preserve their followers and ensure the spread of the movement's ideas in a safe manner, gain the largest number of Muslims for them, and expand the spread of the sect. So the Ibadites devised new methods and methods that were not known to their followers before, in order to be safe from the sight of the authority and its spies. This enabled them to spread the principles of the movement and became one of the Islamic groups that established independent states in Oman and the Morocco.

Key words: **(1) Secret regulation (2) Ibadi movement (3) Umayyad era**

التنظيم السري للحركة الإباضية في العصر الاموي

م.د مصطفى سالم حازم جامعة البصرة / كلية الآداب/ قسم التاريخ

المقدمة

تعتبر الحركة الإباضية من ضمن الحركات والتنظيمات السياسية التي ظهرت على مسرح الأحداث التي رافقت البدايات الأولى لتأسيس الدولة الأموية ، فبعد أن تعرض قادة الحركة الاوائل للقتل والبطش والمطاردة من قبل السلطة الأموية، حالهم حال بقية المعارضين، كان ذلك مدعاة لتبني رجال الحركة منهج مغاير لمنهج أقرانهم

من الخوارج وأمنوا بضرورة سلوك العمل السري على الصعيدين السياسي والفقهي والابتعاد عن كل ما من شانه تعريض قادة الحركة والقواعد الشعبية للخطر إذا ما اصطدوا برجال السلطة الأموية أو عبروا عن تنظيمهم السياسي بصورة علنية. فكان التنظيم السري هو الوسيلة الأنجح التي تؤمن نشر أفكار الحركة وأهدافها وتوسع رقعة أنصار الدعوة بكل أمان بعيداً عن أنظار رجال السلطة الاموية.

لقد أستفاد الاباضيون من التجارب التي خاضها رجال الدعوة الأوائل وكذلك بعض المعارضين للسلطة الأموية من غير فرق الخوارج الذين اصطدموا علانية بالسلطة الأموية وكانت نتيجة ذلك الصدام أن تعرضت حياتهم وذويهم لخطر القتل والتشريد والتغيب، كل هذا النتائج حتمت على الاباضيين من أن يقوموا بإرساء قواعد العمل السري في تأسيس الحركة وطبيعة عملها سواء على الصعيد السياسي او الديني او المالي وهذا ما سيتضح من خلال ثنايا البحث .

التسمية:

مرت الحركة الاباضية بعدة تسميات وفقا لطبيعة الأحداث التي مرت بها والشخصيات التي عاصرت تنظيمها، فقد أطلق على أتباع هذه الحركة تسمية القعدة, أي الذين قعدوا عن مجاهدة السلطان الجائر[i]، وهذه التسمية في الحقيقة أطلقها عليهم الخوارج المتشددين ، كونهم رفضوا القيام بالمواجهة العسكرية ضد الدولة الأموية، بعد انفصالهم عن حركة عبد الله بن الزبير[ii] ، والتسمية تلك فيها نوع من التصغير والاحتقار بحقهم[iii], وأطلق عليهم جماعة المسلمين أو أهل الدعوة[iv] .

أما تسميتهم بالإباضية فهي تسمية متأخرة إذا ما قورنت بمراحل تأسيس المذهب الأولى, فهذه التسمية اطلقت على أتباع المذهب نسبة إلى عبد الله بن اباض[v] ، كونه قد تصدى لإعلان مبادئ وأفكار المذهب والدفاع عنه وإبعاد كل ما من شأنه التشويه بحقيقة الفكر الذي أسسه زعيم المذهب الروحي جابر بن زيد[vi] ، ويبدو أن الإباضية رأوا ضرورة طرح آرائهم ومعتقداتهم فيما يتعلق بنظرتهم تجاه متشددتي الخوارج أمثال الازارقة وكذلك بقية المسلمين من أجل ايضاح عقيدتهم كي لا يتعرضوا إلى السخط والاستهجان من بقية المسلمين الذين اعتبروا جميع الخوارج متطرفين يجب محاربتهم والقضاء عليهم[vii] ، فأصبح ابن أباض هو الناطق باسم الحركة والمجادل الأشهر بين أتباع القعدة مع بقية فرق الخوارج والمعتزلة والقدرية والمرجئة وبقية المسلمين . لذلك شاع بين الاوساط الدينية والرسمية أسم عبد الله بن اباض ونعكس ذلك على أتباع المذهب حتى أطلق عليهم الإباضيون تميزاً لهم عن بقية فرق الخوارج الأخرى[viii] .والحقيقة أن مؤسس المذهب والواضع لمبادئه الفكرية والفقهية هو جابر بن زيد، وهذا ما جعل أحد الباحثين[ix] يذكر أن جابر هو الزعيم الروحي للمذهب وعبد الله بن أباض هو الزعيم السياسي. لذلك يمكن القول أن أسم الاباضية هو للتميز وليس للتشريع[x].

المبحث الأول: التنظيم السياسي

لقد أتبع الولاة الأمويين ضد الخوارج أقسى درجات البطش والتنكيل والمطاردة ، بسبب موقفهم من السلطة الأموية[xi] ، وكانت بداية المواقف المتشددة ضد الخوارج في الفترة المحصورة بين عامي (٤٥ هـ - ٥٣هـ / ٦٦٥م – ٦٧٢م) وهي فترة تولى زياد بن أبيه ولاية العراقين (البصرة، والكوفة)، فقد أتخذ بحقهم أشد الإجراءات، فكان من بين تلك الإجراءات قيامه بتهديد أهل البصرة بقطع العطاء عنهم وترحيلهم عن البصرة في حال ثبوت تقديمهم أي مساعدة للخوارج أو إيواء أحد منهم، فقد ورد بهذا الشأن (...أن أي خارجة خرجت من قبيلة فلم تقاتلها حرمتها العطاء وأجليتها..) [xii] ، حتى النساء لم تسلم من بطش زياد[xiii] ، هذه الاحداث وغيرها الكثير، جعلت بعض الخوارج ممن كان يميل للاعتدال وعدم مواجهة السلطة بقوة السلاح والخروج عليها، يحبذون القيام بطرح آرائهم السياسية والدينية بالطرق السلمية ، حتى أن زياد بن أبيه لم يعترض طريق هذه الجماعة ما داموا لم يحملوا السلاح ضده، وكان على رأس هذه الجماعة مرداس بن ادية[xiv] ، وعلى الرغم من موقف زياد المتشدد من متطرفي الخوارج، فقد روي ان زياد بن أبيه كان يقرب هؤلاء ولا يتعرض لهم بسوء ويصرف لهم

العطاء ما دامو مسالمين، وروي أن شخصاً من الاباضية يدعى أبو الخير[xv] ، كان متبع لرأي مرداس وقد كلفه زياد بن أبيه بإدارة ولاية جند سابور وأعمالها [xvi] ، ويبدو أن زياد بن أبيه قد رأى أن من الأفضل مهادنة هؤلاء الخوارج وكسبهم وتقريبهم من أجل أن يأمن جانبهم والتفرغ للخوارج المتشددين، أي أنه أراد تقليل العمل على عدة جبهات والتركيز على جبهة واحدة والتحشيد لها دون مقاتلة أكثر من جماعة مما يؤدي إلى تشتيت قواه وبالتالي التسبب في حصول الضعف بين قواته.

أن السياسة التي تبناها عبيد الله بن زياد حينما تولى العراق سنة (٥٥هـ / ٦٧٤م)، تجاه الخوارج، سواء المتشددين منهم أم القعدة المعدلين، كانت سياسة مغايرة عن سياسة أبيه ، فقد قام بإضطهاد الخوارج وقتلهم والتنكيل بهم[xvii]، وأراد من وراء الفعل هذا عدم فسح المجال أمام الخوارج لتنظيم صفوفهم وترتيب أوراقهم وتحسين وضعهم العام لكي يتمكنوا من الخروج ومواجهة السلطة الأموية وإشهار السيف بوجه ولاتها، لذلك بادر إلى هذا الفعل تحسباً لما قد تأول إليه الأحداث في حال تساهل معهم، حتى أنه قد صرح بذلك علناً حينما قال : (... أقمع النفاق قبل أن ينجم..) [xviii]، فنتيجة لسياسة عبيد الله تجاه القعدة الخوارج بدأت مرحلة جديدة في تاريخ القعدة (الاباضية) وهي مرحلة العمل السري المنظم الذي أصبح من الحتميات المفروضة لمواجهة الخطر الذي يعصف بالحركة الاباضية، فبدأ الاباضيون يرتبون أنفسهم وفقاً للوضع الذي تمر به الحركة، وقد أثبتت الأحداث اللاحقة أن الاباضية قد أحسنوا تنظيم صفوفهم والمحافظة على سرية عملهم والحفاظ على الشخصيات المهمة في التنظيم، وعلى الرغم من تعرض بعض رجالات الحركة للتعذيب من قبل عبيد الله بن زياد وزبانيته، ألا أنهم تحملوا ذلك ولم يدلِ أي أحد منهم عن أي معلومة تمكن عبيد الله من النفاذ إلى أسرار التنظيم ومعرفة حلقاته، فقد روي أن شخصاً يدعى خالد بن عباد السدوسي[xix] وشّي به عند عبيد الله بن زياد كونه يخطط للخروج عليه، وعندما طلب منه أبن زياد الأعتراف على من كان معه في التنظيم رفض ذلك رفضاً قاطعاً بقوله: (.. لو دللتك لقتلتهم..) [xx] ، إلا أن عبيد الله قد أمر بقتله، وقتل على يد أحد شرطة عبيد الله ويدعى المثلم، إلا أن الخوارج قد أخذوا بثأره من قاتله وفيه قال أبو الاسود الدؤلي[xxi] شعراً[xxii].

آليت لا أمشي إلى ربّ لقحة أساومه حتى يؤوب المثلَّم
وقال له كوماء حمراء جلدة وقاربه في السّوم والفتك يكتم
فأصبح قد عمّي على الناس أمره وقد بات يجري فوق أثوابه الدم.

إن الاباضيون الأوائل قد استخدموا عدة أساليب في تنظيمهم السياسي السري من أجل إبعاد أنظار جواسيس السلطة عن مراقبتهم وعدم تمكين الولاة من القبض عليهم ، وهذا لا يعني أن الاباضية ظلوا على هذا المنوال طيلة سنوات تنظيمهم السري أو ما يعرف بـ (عصر الكتمان) [xxiii] ، وإنما كانت هناك فترات عصيبة مرت على الاباضيين جعلتهم يتبنون هذه الأساليب خشية افتضاح أمرهم، بالمقابل هناك فترات مرت على الحركة تميزت بنوع من الهدوء والأمان الذي رافق تحركات قادة الحركة واتباعها، فقد ورد أن فترة حكم سليمان بن عبد الملك (٩٦هـ - ٩٩هـ / ٧١٥م – ٧١٧م) وفترة حكم عمر بن عبد العزيز(٩٩هـ - ١٠١هـ / ٧١٧م- ٧٢٠م) شهدت عصر استقرار نسبي بالنسبة للتنظيم وأتباعه مارس فيه الإباضية نوع من الحرية في ترتيب أوضاعهم[xxiv] ، ما داموا بعيدين عن حمل السلاح ومواجهة السلطة، لذا فان أغلب السنين التي مرت على الحركة الإباضية حتم عليها استخدام أنواع من الأساليب المبتكرة لتيسير عملهم السياسي والديني، فكان من بين تلك الأساليب:

١ـ التقية

التقية لغةً: التقية يقال اتقى تقية وتقاء والتقي[xxv]، والتقية والتقاة بمعنى واحد ،أي أن الناس يتقون بعضهم بعضا ويظهرون الصلح والأتفاق ، وباطنهم بخلاف ذلك[xxvi].

وفي الاصطلاح : فقد عرفها جمع من علماء المسلمين بألفاظ متقاربة وذات معنى واحد, فقيل أن التقية هي(كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين والدنيا)[xxvii]، والتقية أن يقي نفسه من العقوبة ، وإن كان يضمر خلافه)[xxviii] ، وقال الشيخ الأنصاري أن التقية هي: (الحفظ عن ضرر الغير بموافقته في قول أو فعل مخالف للحق)[xxix].

والتقية مخالطة الناس فيما يعرفون ، وترك ما ينكرون حذرا من غوائلهم[xxx]، وقد أطلق الله جل اسمه إظهار موالاة الكافرين في حال التقية فقال تعالى : (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة)[xxxi].

وروي عن الامام الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن قول الله عز وجل : (إن أكرمكم عند الله أتقيكم) قال : أعملكم بالتقية[xxxii].

من هنا يتضح أن الإسلام أباح العمل بالتقية في الحالات التي يكون فيها الخطر محدق وحتمي، من أجل المحافظة على أمر مهم خشية تعرضه للتشتت والاضمحلال، من هنا رأى الإباضية (القعدة) ضرورة العمل بالتقية من أجل المحافظة على البناء العام للحركة وعدم تعريض أنفسهم للتنكيل والقتل والمطاردة سيما وأن ولاة السلطة وعيونها كانوا يراقبون كل ما من شأنه إظهار المعارضة للدولة الأموية.

وبما أن الحركة الاباضية كانت في بدايات التأسيس، فقد حرص زعمائها على التمسك بمبدأ التقية وإظهار مهادنة الحكام وإخفاء عقيدتهم، فقد بان ذلك من خلال قيام الإباضيين بالعمل بالتقية بالتصريح العلني تارة، وبالإشارة الضمنية تارةً أخرى، فقد روي أن عبيد الله بن زياد حينما ضيق الخناق على الإباضيين (القعدة) بعدما تولى إدارة البصرة، وصلت إلى مسامعه نشاط أحدى نساء القعدة وتدعى البلجاء[xxxiii] ، فاراد عبيد الله القبض عليها، وبعد أن علم أبو بلال مرداس بالأمر طلب من البلجاء التخفي وعدم أظهار نفسها والعمل بالتقية خشية تمكن ابن زياد منها بقوله: (.. إنّ الله قد جعل لأهل الإسلام سعة في التقيّة ، فإن شئت فتغيّبي فإن هذا الجبّار المسرف على نفسه قد ذكرك...) [xxxiv] ، فيلاحظ من هذا النص أن ابو بلال قد أكد على البلجاء ضرورة العمل بالتقية.

ومن خلال تتبع الحركة الإباضيين الأوائل يلاحظ أنهم في حال مواجهتهم للولاة فأنهم يعملوا بالتقية الضمنية ، فحينما يُطلب منهم تقديم أجوبة صريحة لأسئلة تقدم لهم الغرض منها الاستعلام والتثبت من مواقفهم من السلطة الأموية ، فأنهم يتهربوا من إعطاء الأجوبة التي يعتقدون بصحتها كي لا تحسب من خلالها سلبية مواقفهم تجاه السلطة، وهذا ما يمكن ملاحظته عند الاطلاع على فحوى المحاورة التي دارت بين عبيد الله بن زياد وبين خالد السدوسي، فقد طلب عبيد الله من خالد أن ينال من الخوارج الاوائل الذي أشتركوا في معركة النهروان واعطاء رايه الصريح ببعض الشخصيات الإسلامية التي تولت منصب الخلافة فقد روي أن عبيد الله قال لخالد: (.. العن أهل النهر، قال – خالد - أن كانوا لله أعداء فلعنهم الله، قال فما تقول في أبي بكر وعمر ، قال خيرا، قال وعثمان ومعاوية، قال أن كانا وليين لله فلست أعاديهما، فقال له رجل أنك في تقية..) [xxxv] ، أن القراءة الدقيقة في النص موضع الدراسة يبين أن خالد السدوسي قد أمعن في التقية وأستخدمها في أجوبته التي بان عليها إخفاء الحقائق التي لا يريد الافصاح عنها لعبيد الله، يضاف إلى ذلك أن خالد السدوسي كان متمرس في كيفية اختيار الأجوبة الدبلوماسية التي حاول من خلالها قطع الطريق أمام عبيد الله بن زياد من النيل منه وتفويت الفرصة عليه إذا ما اراد تطبيق عبارة (من فمك ادينك).

أن العمل بالتقية لم يك اجتهاد شخصي يستخدمه أحد الشخصيات الإباضية في حال مواجهة الخطر ، بل هو، على ما يبدو، أحد التعاليم التي كانت تصدر عن إمام ومؤسس المذهب جابر بن زيد بضرورة الركون إلى أستخدام التقية في حالات الخطر الذي ربما تنتج عنه كشف سرية التنظيم، بدليل أن جابر نفسه كان يعمل بالتقية عندما كان يسئل عن الإباضية وأنهم يتبعونه

ويتبنون أفكاره ويعملون بفتواه، كان جواب جابر في اكثر الاحيان هو إعلان البراءة منهم وأنه لا يعنيه أمرهم، فقد ورد بهذا الشأن (...قال عزرة[xxxvi] دخلت على جابر بن زيد فقلت أن هؤلاء ينتحلونك - يعنى الإباضية – قال أبرأ إلى الله عز وجل من ذلك)[xxxvii] ، وفي رواية أخرى (... أن الإباضية يزعمون أنك منهم، قال برأ إلى الله منهم..) [xxxviii] .وهذا يدل على أن جابر بن زيد كان ممن يعمل بالتقية ويحاول إظهار شيء ويخفي ما هو أعظم من ذلك مخافة افتضاح أمر الدعوة ومستقبلها، وحقيقة الأمر أن جابر هو رأس الدعوة ومفتيها بدليل قول أحد مؤرخي الاباضية نقلاً عن جابر ، حينما يذكر ما لاقاه أحد شيوخ الإباضية من التعذيب أيام الحجاج على ان يدلي بمعلومات عن زعماء الاباضية إلا أنه لم يعترف بأي معلومة رغم تحمله لأصناف التعذيب ، فقد روي (أن شيخاً كبيراً أخذ وجلد أربعمائة سوط على أن يدل على أحد من المسلمين فلم يفعل... قال جابر بن زيد وكنت قريباً منه وما كنت أنتظر إلا أن يقول هذا هو فعصمه الله..) [xxxix] ، وقد ذكر أحد مصادر الإباضية أن جابر بن زيد كان يصلي خلف عبيد الله بن زياد في جامع البصرة [xl] ، ويبدو أن تصرف جابر هو بمثابة رسالة أراد من ورائها إيصال معلومة واضحة للوالي الأموي بمدى تبعيته لولاة الدولة وإنه لا يحيد عن الولاء لها، وهذا التصرف فيه أبعاد سياسية كان يخطط لها جابر بن زيد.

ومن بين أمثلة التقية التي أستخدمها جابر لدفع الشبه عنه وإنكار معرفته بأمور الفقه والقضاء والفتيا فقد تظاهر أمام الحجاج الثقفي، حينما كان والياً على العراق، كونه من عامة الناس وليس له علما يميزه عن الأخرين كي يكون بمأمن من الحجاج وسطوته ، وحتى يترك عند الحجاج انطباع بان جابر رجل ضعيف لا تمكنه مبررات ضعفه على تأسيس تنظيم وقيادته والقيام بمعارضة السلطة الأموية, فقد سئل الحجاج الثقفي جابر عن مبلغ علمه في بعض الأمور كي يرشحه لمنصب القضاء ، إلا أن جابر تهرب من الأمر بطريقة ذكية لا تخلو من التقية، فقد ورد أن الحجاج قال لجابر: (أتقرأ قال نعم قال أتفرض قال نعم فعجب به قال لا ينبغي أن نؤثر بك أحداً نجعلك قاضياً للمسلمين، قال جابر أنا اضعف عن ذلك ، قال – الحجاج- وما مبلغ ضعفك ، قال يقع بين المرأة وخادمها شر فما أحسن أن أصلح بينهما قال أن هذا لهو الضعف...) [xli]، وهذا دليل واضح على أن الإباضية كانوا مؤمنين بالعمل بمبدأ التقية من أجل ضمان سلامة ونجاح الحركة.

٢- التنكر:

ومن الأساليب الأخرى التي أستخدمها الإباضيون في سبيل إنجاح عملهم السياسي السري هو التنكر، والتنكر هو التغير عن حال تسرك إلى حال تكرهها والتنكير أسم للإنكار الذي يعني به التغير[xlii] .

لقد كان لهذا الأسلوب ضرورة ملحة أستخدمها الإباضين من أجل ستر أنفسهم والحرص على عدم كشف تنظيمهم من قبل عيون السلطة وأعوانها، فكانوا في بعض الأحيان ، عندما تضطرب أحوالهم السياسية، يتنكرون بزي النساء ومن ثم المجيء إلى المجالس التي يعقدها شيوخ الإباضية للذكر وتعلم مبادئ الحركة والمسائل الفقهية الأخرى، فورد بهذا الشأن (... كانوا يأتون المجالس في هيئة النساء في النهار ، وغير ذلك يتشبهون بالنساء ..) [xliii] ، وقد انشأ مشايخ الإباضية مجالسهم الخاصة في السراديب التي كانت تحفر تحت الارض[xliv] .

وفي أحيان أخرى كان هناك قسم من الإباضية يحضرون إلى تلك المجالس وهم متنكرين بزي باعة متجولين يحملون أمتعة بسيطة يتظاهرون بانهم يمارسون عملاً من أجل كسب عيشهم، حتى إذا وصلوا بالقرب من تلك المجالس تخلوا عن تلك الهيئة، فقد جاء (.. وأن كان أحدهم ليحمل على ظهره جرة ماء ، أو يحمل حمل متاع كأنه بياع حتى يدخل المجلس..) [xlv] . من هنا يتضح أن زعماء التنظيم الإباضي كانوا يغيرون من أستراتيجيات الحركة وفقا لطبيعة الأحداث المعاصرة لهم ، فضلا عن

ابتكار أساليب جديد تتطلبها المرحلة التي يمر بها التنظيم من أجل أبعاد كل ما من شانه تعريض أتباع الحركة للمخاطر. وكانت أغلب هذه الأجتماعات تعقد في بيوت نساء كبيرات في السن من أجل أبعاد الشبهات حول أمكانية العجائز في توفير هكذا أماكن في حال وصلت الأخبار إلى الوالي، فقد روي أن أجتماع عقد في بيت أحدى النساء المسنات في التنظيم وقد وصلت أخبار ذلك الاجتماع إلى مسامع والي البصرة فسارع إلى أرسال الشرطة للقبض عليهم إلا أن الإباضيين كانت لهم عيون أيضا تراقب كل تحركات الشرطة فقاموا بإعطاء إشارة سريعة إلى زملائهم المجتمعين بضرورة تفريغ المكان والابتعاد عنه مخافة القبض عليهم، فقد جاء بهذا الخصوص (.. إلا أنهم كانوا ذات مرة أتاهم الخبر بان الخيل تريدهم، فخرجوا مسرعين وتركوا نعالهم على باب البيت الذي كانوا فيه، فجاء الشرط فنظروا إلى النعال فقالوا للعجوز صاحبة البيت ما هذه النعال؟ فقالت مكاتب لنا يسال الناس النعال فيعطى النعال وغيرها...) [xlvi] ، ويبدو أن هذه العجوز كانت من النساء الشجاعات وذات رباطة جأش وصلابة في مواجهة الأخطار والمواقف المفاجئة لذلك يلاحظ أن ردها لا يخلوا من الثقة والثبات وعدم الارتباك، يضاف إلى ذلك أنها ،وعلى ما يبدو، لها ممارسات سبقت هذه الحادثة جعلتها ذات خبرة في مواجهة هكذا حالات طارئة، وهذا ينعكس على مدى إيمانها بمبادئ وأهداف الدعوة الإباضية.

المبحث الثاني : التنظيم الديني

لقد عمل الإباضية إلى جانب حركة التنظيم السياسي على التركيز على بلورة التنظيم الديني لأتباع الحركة من أجل ترسيخ فكر الحركة الديني والفقهي وبيان آلياته التي تميزه عن بقية الفرق والمذاهب الإسلامية، لكي يخلقوا جيل بل أجيال يقع على عاتقها نشر أفكار ومبادئ المذهب في بقية المدن والأقاليم الإسلامية حتى تمهد لقيام دولة الخلافة أو الإمامة الإباضية التي يسعى شيوخ الإباضية لأقامتها بديلاً عن نظام الخلافة الذي يعيشون تحت وطأة حكمه، وهم في الحقيقة لا يومنون بهكذا نظام سياسي وديني متسلط على رقاب المسلمين ، ومبادئه وأفكاره ، وسياساته تتنافى وأفكارهم ومبادئهم، حالهم حال أغلب القوى المعارضة للدولة الأموية في ذلك العصر.

لقد ركز شيوخ وزعماء الإباضية على إيلاء الجانب الديني من الدعوة أهمية بالغة لا تقل عن أهمية الجانب السياسي، بل أن الجانبين كانا على مستوى واحد من الأهمية، ومثلما خصص للجانب السياسي مجالس خاصة يتم فيها إيضاح جوانب الفكر السياسي الإباضي ، هناك أيضاً مجالس تعليم الاتباع أصول ومبادئ الحركة الديني وكذلك جوانب الفقه الإباضي والفتيا، وقد أصبحت البصرة، وهي معقل الحركة الإباضية، مركز إشعاع فكري وقبلة لطلاب العلم من الإباضية في مختلف المدن الإسلامية[xlvii] ، ومثلما أوجد شيوخ الإباضية أساليب فعالة وناجحة في مسيرة عملهم السياسي السري ، فإنهم اوجدوا كذلك أساليب أخرى لتنظيم عملهم الديني من أجل انسيابية حضور طلاب العلم وبقية المسلمين دون أن يشعر بهم اعوان السلطة، وهذا لا يعني أن تلك الأساليب كانت خاصة في تنظيم دون أخر، فربما يستعان بأسلوب معين معمول به في الجانب السياسي وأعطى نتائج مرضية ومطمئنة، يعمل به في الجانب الديني كذلك، ألا أن هناك أساليب ركز عليها في الجانب الديني من خلال ما تناولته الروايات التاريخية وخاصة الإباضية منها ، والتي أشارت إلى الأساليب والوسائل التي أتبعها زعماء ومشايخ الإباضية من أجل إنجاح عملهم الديني والسياسي، وهذا ما يمكن ملاحظته في الروايات أدناه، فكان من بين تلك الأساليب.

١ـ البعثات والرسل

اختط زعماء الإباضية خط أخر لنشر مبادئ وافكار وعقائد المذهب الإباضي خارج حدود رقعة تأسيس المذهب في البصرة ، فبعد أن أصبحت هناك ضرورة ملحة لكسب المزيد من الأنصار وضرورة تعريف أهل المدن والأقاليم الأخرى بمبادئ واراء الإباضية من أجل توسيع قاعدة المذهب والتهيؤ لتأسيس الإمامة الإباضية وإعلان الخلافة التي لابد أن تعلن من قبل مشايخ الإباضية. فبعد أن أسس جابر بن زيد لهكذا نشاط شرع مسلم بن ابي كريمة[xlviii]، بعد وفاة جابر بن زيد سنة (٩٣هـ /٧١١م) لاستكمال فكرة أرسال الوفود والبعثات المتمثلة بشيوخ الإباضية الذين عرف عنهم الزهد والتدين والعلم والقدرة على أقناع

الأخرين وإيصال فكر ومبادئ وفقه المذهب الإباضي إلى المسلمين وبيان حقيقة المذهب وإزالة كل شائبة الصقت به من قبل بعض أعداء المذهب سواء كان من اعوان السلطة ومريديها ، أو من قبل منافسي المذهب وأتباع المذاهب الأخرى من الخوارج وغيرهم. فبدأ أبو عبيدة بإرسال الدعاة إلى مدن خارج البصرة كاليمن وعمان ومصر وبلاد المغرب والحجاز[xlix] ، فكانت البدايات الاولى هو إرسال الدعاة إلى مختلف المدن الإسلامية التي يمكن أن تتقبل الدعوة واختيار الشخصيات المؤهلة للقيام بتلك المهمة الحساسة، وكان التركيز بالدرجة الأساس على تلامذة أبو عبيدة البارزين، أمثال الربيع بن حبيب بن عمر[l] ، ومنصور الرياحي[li] ، وبشير بن المنذر الترواني[lii] ، وهؤلاء تم أراسلهم إلى عمان، وسلمة بن سعيد [liii] ، وعكرمة بن عبد الله [liv] ، إلى شمال افريقيا [lv] ، وقد تمكن هؤلاء الدعاة من إتمام مهامهم ونشر مبادئ الدعوة الإباضية وكسب أنصار جدد لاسيما في شمال افريقيا، على اعتبار أن عمان قد وصلت إليها مبادئ الإباضية منذ ايام جابر بن زيد[lvi] ، ولم يقتصر أمر الدعاة الإباضية على نشر المذهب، وإنما قيامهم بتشجيع أبناء تلك المدن بضرورة كسب العلوم والفكر والفقه الإباضي في المجالس الدينية والسياسية في مركز الدعوة في البصرة ، ويبدو أن هناك أتفاق قد تم بين سلمة بن سعيد وبين ابو عبيدة مسلم على أرسال من يحظى بالكفاءة ويمتاز بالذكاء ولديه الطموح السياسي والقابلية على التعلم والصبر على الاذى للحضور في مجالس الدرس الديني والسياسي في البصرة.

ا ن الفكرة التي خطط لها ابو عبيدة من استقطاب طلبة العلم الذين عرفوا في المصادر الاباضية بـ (حملة العلم) [lvii]، قد لاقت استحسان عدد كبير من المسلمين، فقد قدم إلى البصرة العديد من أبناء المدن المختلفة ، فقد روي أن شخصاً من أهل افريقيا يدعى عبد الرحمن بن رستم[lviii]، قدم على أبو عبيدة في البصرة لتلقي العلم مع مجموعة من الاشخاص وفعلاً دخلوا في حلقات الدرس عند ابو عبيدة مسلم، بعد أن استقبلهم وأطمان إليهم ، فقد جاء بهذا الشان (...فسار عبد الرحمن بن رستم الى ابي عبيدة رحمه الله فاجتمع بالنفر ... وقصدوا ابا عبيدة فصافحهم ابو عبيدة وسألهم عن احوالهم ومن اين أقبلوا فأخبروه أنهم ارادوا تعلم العلم ، فأجابهم إلى ذلك ومكثوا عنده سنين) [lix] .

ويبدو أن ابا عبيدة كان يُخضع طلاب العلم القادمين من خارج البصرة لنوع من التحقيق للتثبت من صحة المعلومات التي ربما تصل إليه من الدعاة في تلك المدن عن اولئك الطلاب الذين تم ترشيحهم من قبل الدعاة، بدليل ما جاء في الرواية اعلاه (.. فصافحهم ابو عبيدة وسألهم عن احوالهم ومن اين أقبلوا..)، يضاف إلى ذلك أن مجيء طلاب العلم إلى البصرة لطلب العلم والسياسة يتم عن طريق ترشيح الدعاة الموثوقين الذين أرسلهم أبو عبيدة إلى مختلف المدن الإسلامية ومن خلال ذلك الترشيح يتم أختيار طلبة العلم ممن يرونه مؤهل لهذه المهمة، لذلك ورد أن اسماء عدد من الشخصيات الذين رشحوا للدرس والتعلم في البصرة قادمين من بلاد المغرب أمثال(عاصم السدراتي[lx] ، ابو داود القبلي النفزاوي[lxi] ، واسماعيل بن درار[lxii])[lxiii]، وهؤلاء هم من جاؤوا إلى البصرة مع عبد الرحمن بن رستم. وإلى جانب تلك البعثات التي كانت ترسل من البصرة إلى مختلف المدن لنشر الفكر الاباضي فان طلبة العلم الذي سيتلقون العلم عند مشايخ الاباضية في البصرة سيكلفون بمهام دينية وسياسية في مدنهم التي قدموا منها بعد ان يتم اكمال متطلبات الدرس والتعلم[lxiv].

أن دقة التنظيم الإباضي لم يقتصر على نشر الفكر الإباضي عن طريق البعثات المخصوصة أو عن طريق طلبة العلم ، بل أن ابو عبيدة رأى ان موسم الحج من أهم المناسبات الدينية التي يمكن أن تستثمر من أجل نشر أفكار وتعاليم المذهب بين المسلمين القادمين من مختلف المدن والأقاليم الإسلامية، وقد ذكر احد المصادر الاباضية عدد من الدعاة الاباضية امثال عبد الله بن عبد العزيز[lxv] ، والمثنى بن المعرف[lxvi] الذين حضروا مواسم الحج ونجحوا في الترويج للحركة [lxvii].

وقد كان للتجار الإباضية الدور المهم في نشر المذهب في الأماكن والمدن التي يمارسون التجارة فيها والتي لم يكن بمقدور البعثات والرسل الذهاب إليها لبعدها عن مناطق سكناهم ، وأن التجار هم وحدهم من لـه القدرة على الوصـول إلـى تلك الأمـاكن بحكم طبيعة عملهم، وقد قام هؤلاء التجـار بعملهم بكل اخـلاص كونهم تجـار ولا يثـار حولهم الشبهة وأن عملهم الظـاهر منـه التجارة بالإضافة إلى الواجبات الأخرى المكلفين بها من قبل شيوخ المذهب [lxviii].

٢- التمويه:

اسم مصدره مَوَّهَ، وهو أخفاء الواقع الفعلي وإظهار ما لا قيمـة لـه ، والتمويـه هو تغطيـة الصـواب وتصـوير الخطـأ بغير صورته ،ويكون التمويـه فـي الكـلام المموه إذا لـم تبين حقائقـه [lxix]، وهذا يعنـي ان الإباضـين قد أبتكر وسيلة جديدة لخداع أعوان السلطة مخافة كشف أمرهم في اوقات الأجتماعات والمحاضرات الدينية، فبعد أن تسلم ابو عبيدة مسلم القفاف الزعامة الدينية للحركة الإباضية بعد وفاة جابر بن زيد سنة (٩٣هـ)، كان التنظيم يمر بمرحلة حرجة ومهمة من تاريخ الحركة، وهي مرحلة استقطاب الأنصار وطلاب العلم والمؤيدين لأفكار الحركة من غير المدن القريبة من البصرة لدراسة الاصول والفروع وأسس التوحيد والشريعة وغيرها من العلوم التي تدرس في مجالس وحلقات العلم السرية[lxx] ، لذلك فان مسلم القفاف كان يلقي دروسه الدينية في إحدى السراديب التي اوجدها لهذا الغرض مخافة كشفه من قبل أمراء البصرة آنذاك، فقد ابتكر طريقة غاية في الدقة لمنع افتضاح أمره أثناء اجتماعه بطلاب العلم، فإنه كان يجلس في مقدمة السرداب ويتظاهر بأنه يصنع القفاف ويمسك بيده سلسلة ومتى احس بالخطر أو شك في أمر ما يقوم بتحريك السلسلة إشارة منه إلى من في السرداب يشعرهم بوجد خطر أو ريبة فليتزموا الصمت والهدوء، حتى إذا زال الخطر قام بتحريك السلسلة مرة أخرى ايذاناً لأستمرار الدرس، فقد روي(...وكان ابو عبيدة رحمه الله مستخفيا تخوفا من بعض أمراء البصرة فادخلهم سربا وجعل فيه سلسلة وطفق يعمل القفاف بباب السرب فمتى رأى شخصا مقبلا حرك السلسلة فسكتوا فاذا أنصرف حركها فيأخذون في دراستهم..) [lxxi] ، وقد نجح ابو عبيدة إلى حد كبير في تكوين نشطاء حملوا على عاتقهم نشر أفكار ومبادئ الدعوة ، وأصبح سرداب القفاف من أنجح الخلايا السرية التي قدر لبعض تلامذتها في قابل السنون المساهمة في تأسيس الدولة الرستمية في بلاد المغرب[lxxii]

وعلى الرغم من السرية التامة التي أحاطت بالتنظيم وكيفية عمل دعاة والشيوخ وأماكن تجمعات الإباضية وكيفية التستر والتنكر والتمويه الذي رافق مراحل التنظيم ، التأكيد على أتباع الحركة الاباضية بعدم إظهار أي تصرف أو موقف أو كلمة ، سواء عن قصد أو عن غير قصد ، تكون سببا قد يؤدي إلى كشف التنظيم ، فإمعان من قبل شيوخ وزعماء الحركة الإباضية في السرية التامة ، قسم زعماء الاباضية مجالسهم الدينية والسياسية إلى مجالس سرية ضمن سرية العموم ،أي المجالس الخاصة، وهذا يعني أن هناك قسم من المجالس لا يسمح لغير الشخصيات المهمة وزعماء الإباضية الذين لهم تأثير وثقل داخل المجتمع الإباضي بالحضور، وبالخصوص المجالس السياسية والتي يناقش فيها القضايا السياسية التي يجب أتباعها من قبل الاباضية، بعد التخطيط والتهيئة لها[lxxiii].

لم يخلُ التنظيم الاباضي ، على الرغم من ابتعاده عن العنف وحمل السلاح، من بعض الحالات التي توجب القتل واستخدام السيف ، والظاهر أن اضطرار شيوخ الإباضية إلى الايعاز لاتباعهم بالتخلص من بعض الخونة الذين يخاف منهم اختراق سرية التنظيم وتعريض اتباعه للخطر عندما يلوحوا بإفشاء أسرار التنظيم عند الولاة واعوانهم ، لذلك يتحتم على زعماء المذهب أصدار فتوى تجيز قتل هكذا رجال، فقد روي أن رجل سئل جابر بن زيد عن أفضل دراجات الجهاد فاخبره جابر أفضله قتل شخص يدعى خردلة[lxxiv] ، وهذا الشخص كان من ضمن أتباع الحركة إلا أنه خرج منها وقام بالكشف عن بعض أسماء الرجال داخل الحركة عند السلطة، لذلك أصبح أمر التخلص منه ضرورة ملحة لسلامة أعضاء التنظيم ومشايخه، وفعلاً تم التخلص من خردلة، فقد جاء بهذا الصدد (... أتى شاب إلى أبا الشعثاء – جابر بن زيد- فقال أي الجهاد أفضل، قال قتل خردلة والشاب لا يعرفه فأراه أياه رجل من المسلمين في المسجد ووضع يده عليه لئلا يخطأه فضربه بين كتفيه ..) [lxxv]

المبحث الثالث: التنظيم المالي

أن شيوخ الإباضية قد نجحوا إلى حد كبير في استمرارية تنظيمهم السياسي والديني السريين من خلال وضعهم كل الخطط والسبل والوسائل الكفيلة التي تضمن عمل دعاة الحركة وأنتشارها والتي أستمرت في طورها السري حتى قبيل نهاية الدولة الاموية (١٣٢هـ /٧٤٩م)، واستكمالاً لديمومة نجاحهم على الصعيدين السياسي والديني، فإنهم اوجدوا كذلك التنظيم المالي للحركة والذي يضمن نجاح كلا التنظيمين (السياسي والديني) ويكفل توفير أبسط ضروريات العيش الكريم لأتباع الحركة وضمان ، إلى حد ما، وسائل إنجاح العملية التنظيمية برمتها، فإلى جانب اهتمام الإباضين بالتخطيط والتدبير السياسي والديني، كان للجانب المادي اهتمامه الأخر والذي لا يقل أهمية عند شيوخ الإباضية عن التنظيمين السابقين، ولم يك هذا التنظيم ببعيد عن السرية في عمله، فكان من دواعي مسؤولية زعماء الإباضية الإيعاز إلى أتباع الحركة بضرورة تبني فكرة التكافل الاجتماعي بين أتباع الحركة، فقد أحس الاغنياء والميسورين من الإباضية بضرورة القيام بواجبهم تجاه إخوانهم في الحركة وبالخصوص الفقراء منهم، فكانوا يقدمون الأموال وكل ما من شأنه المساهمة في سد حاجة الفقراء الإباضية، فلم يقتصر الأمر على الرجال من الأغنياء فحسب، فالمصادر التاريخية، ولاسيما الاباضية منها تذكر أن هناك نساء كان لهن دور مهم في رفد فقراء الإباضية بالأموال، فقد قامت عاتكة بنت المهلب[lxxvi]، أيام جابر بن زيد بتقديم المساعدات المالية الكبيرة للمحتاجين من أهل الدعوة دون أن تلتفت لحجم الأموال التي تصرف عليهم[lxxvii]، ويبدو أن إيمان عاتكة بمبادئ الدعوة وحماسها لنصرتها كان هو الدافع الرئيس وراء إقدامها على هذا الفعل.

لقد اكد أبو عبيدة مسلم ، حينما تولى زعامة الحركة الإباضية خلفا لجابر بن زيد، على ضرورة أن تحظى عملية تقديم المساعدات، العينية والنقدية، للفقراء منهم بالسرية التامة، فلم يعرف ممن كانت تأتي تلك المساعدات ، فقد روي بهذا الخصوص (... اذا دخل شعبان فان الفقراء من المسلمين – الاباضية – لتأتيهم الاحمال بالسويق، والتمر وما يصلحهم لشهر رمضان ولا يعلمون من بعث بها..) [lxxviii].

أن آلية التنظيم المالي عند الإباضين قد خضعت إلى التطورات السياسية التي مرت بها الحركة والأحداث المعاصرة لها، لذا فرضت على زعماء الحركة تبني أسس أكثر فاعلية في مجال العمل المالي من ناحية تغطية النفقات التي يتطلبها العمل على الصعيدين السياسي والديني وكذلك الاجتماعي، لذا فإن ابو عبيدة مسلم أرتى إلى تأسيس بيت مال خاصة بالحركة الإباضية، في سبيل اخضاع التنظيم المالي للمزيد من الدقة والرقابة وضمان السيطرة على الأموال وتبويب أوجه الأنفاق المالي وتحديد أهم المجالات الواجب تغطية نفقاتها وفقاً للتطورات السياسية وما يطرأ من أحداث تستوجب تهيئة الأموال اللازمة لإنجاح العملية السياسية، فبعد أن توسعت رقعت أتباع الحركة لتشمل ، بالإضافة غلى مركز الحركة في البصرة، أجزاء من اليمن وعمان وأجزاء من مصر والمغرب، أصبح من الضروري أيكال مهمة إدارة بيت المال إلى أحد ثقاة الإباضية وهو حاجب الطائي[lxxix]، وكانت مهمة صاحب بيت المال هو الأشراف على الشؤون العسكرية وشؤون الدعاة وما يتطلبها من نفقات مالية.

لقد صاحب التطور الإداري على الصعيد المالي إيجاد روافد دائمة لرفد بيت المال بالأموال، فكان هناك مصدرين مهمين لرفد بيت المال هما ، الضريبة التي كانت تفرض على أتباع الحركة وتقدر بحسب المستوى المعاشي للفرد، وقد التزم الإباضين بدفع تلك الضريبة على اعتبارها واحدة من الواجبات الدينية في الفكر الإباضي، والمصدر الثاني هو التبرعات التي يقدمها أتباع الحركة، الاثرياء والتجار منهم على وجه الخصوص [lxxx]، وهذا لا يعني اعفاء بقية الاباضين من هذه التبرعات، فقد كان هناك شريحة كبيرة من الإباضية تساهم أيضا بنوع من التبرعات لرفد بيت المال، بشكل طوعي، فقد روي أن حاجب

الطائي قد كلف أحد الاباضين بجمع التبرعات من شريحة من الاتباع كونه لا يريد أن يفرض عليهم الضريبة وأكتفى منهم بتقديم التبرعات الاختيارية فقط (...فأنطلق ... فيمن أنطلق معه من المسلمين، فلم يأتوا يومئذ امرأة ولا رجل إلا وجدوه مسرعاً فيما سألوه .... فلم تمس الليلة حتى جمع عشرة الأف درهم) [lxxxi] .

أن من نتائج التخطيط السليم لسياسة بيت المال الذي أوجده أبو عبيدة ، السيطرة على توفير الأموال وانفاقها في وجهتا الصحيحة، وأهم هذه الأوجه هو توفير ما تحتاجه التنظيمات العسكرية من سلاح ودواب وغيرها من المستلزمات الضرورية للعمل العسكرية في حال قيام الثورات ونجاحها، ومثال ذلك قيام حاجب الطائي بتوفير الأموال اللازمة لثورة طالب الحق[lxxxii] ضد الامويين سنة (١٢٨هـ/ ٧٤٥م) [lxxxiii]، والسنوات التي تلتها[lxxxiv].

يضاف إلى ذلك الأموال التي كان حاجب الطائي يوفرها لطلاب العلم والدعاة من أجل سد حاجاتهم وما يستلزمهم من أموال أثناء القيام بالدعوة في مدنهم التي عادوا إليها أو في المدن والأقاليم البعيدة عن مواطنهم والتي كلفوا بالذهاب إليها، فقد روي أن حجاب كان يجهز طلاب العلم بالأموال قبل التحاقهم بمجالس العلم في البصرة، وبعد أن يتم أنهاء دراستهم وعودتهم إلى مدنهم حتى يقوموا بأداء المهام الموكلة إليهم[lxxxv].

أن ظهور النتائج المرضية والتي سعى لها شيوخ الإباضية من قيام إمامة الظهور وتأسيس الدولة الإباضية الاولى في عمان (١٣٤هـ/٧٥١م) مطلع قيام الدولة العباسية ومن ثم قيام الدولة الرستمية في شمال افريقيا سنة(١٦٢هـ/ ٧٧٨م) ، ما هو إلا دليل واضح على حسن التنظيم السري على جميع الاصعدة التي مرت بنا والتي خطط لها زعماء الإباضية وعمل بها أتباعهم بكل حرص والتزام ، وعلموا مدى أهمية التخطيط والتأني في أختيار الوقت المناسب لإعلان أي من الأهداف التي يرغب زعماء الحركة تنفيذها لذلك يمكن القول أن ما مارسه الإباضين طيلة تاريخ الحركة منذ مراحل التأسيس مرور بتعدد قادتهم والازمات التي مرت بهم وأبتعادهم عن كل حدث ربما يساهم في أضعافهم ، ناهيك عن مدى صبرهم على تنفيذ أهداف الحركة، ساهمت بشكل كبير في أعطاء نتائج طيبة ومثمرة على الصعيد السياسي من خلال التأسيس لأنظمة حكم ما زالت موجودة في عمان حتى عصرنا الحاضر، وكذلك على الصعيد الديني، على اعتبار أن المذهب الإباضي يُعد واحد من المذاهب الموجودة على الساحة الاسلامية .

الخلاصة:

أن مؤسسي الحركة الأباضية قد أرسو أسس التنظيم السري كي يبقوا على وحدة الحركة والايدلوجية الفكرية التي أنبثق منها المذهب، وحرصوا في الوقت نفسه على ديمومة بقاءه وانتشاره والمحافظة على بناءه العام طيلة الفترات الزمنية التي رافقت بدايات الحركة وحتى تمكنها من الظهور على المسرح السياسي والديني بصورة علنية والتمكن من الانتشار والتوسع والتأسيس لأنظمة حكم لازالت قائمة، ويعود هذا النجاح في بقاء وديمومة الحركة وبالتالي تحولها الى أحدى الفرق والمذاهب الإسلامية إلى عدة عوامل هي:

اولاً: تركيز قادة الحركة الاباضية على الابتعاد عن كل مظاهر العداء والكراهية تجاه بقية المسلمين ممن لديهم العديد من المشتركات مع الاباضية على الصعيدين الديني والأجتماعي وحتى القبلي، من أجل تحسين صورة الفكر الاباضي عند بقية المسلمين.

ثانياً: أستطاع شيوخ الاباضية في بيان أسس الفكر الاباضي بين الاوساط الشعبية والرسمية وإظهار أبرز نقاط الخلاف الجوهرية بينهم وبين بقية فرق الخوارج من الازارقة والصفرية وغيرهم من فرق الخوارج الأخرى، كي يبرهنوا للمسلمين بأنهم أصحاب نهج معتدل غير عدائي.

ثالثاً: نجاح شيوخ الاباضية في التمسك بآلية العمل السري الذي أعطى نتائج مثمرة في المحافظة على جوهر الفكر الاباضي وأتباعه، مما ساعد على بقاء أئمة الاباضية والقواعد الشعبية بعيدة عن مضايقات السلطة الأموية بما ابتكروه من وسائل وأساليب غير مألوفة تواكب متطلبات المراحل التي مر بها التنظيم.

رابعاً: ساهمت السياسة السرية التي عمل بها قادة الحركة على مختلف الجوانب في انتشار أفكار الاباضية عند جماعات إسلامية كثيرة، وبروز شخصيات مؤثرة في بعض المدن الإسلامية نجحت في أنتشار المذهب بين أبناء المدن التي قدموا منها وتسهيل مهمة دعاة الفكر الإباضي في نشر المذهب في مدنهم والمدن الأخرى.

خامساً: كان لطبقة التجار والأغنياء مساهمات فعالة في نجاح التنظيم المالي الذي ساعد بشكل كبير على تأمين أبناء الحركة من الأزمات المالية التي كانت تعصف بالفقراء والمعوزين من الاباضية، بما قدموه من أموال نقدية تارة، ومساعدات عينية تارة أخرى، يضاف إلى ذلك مساهماتهم في رفد حركة الدعاة بالأموال من أجل تسهيل عملية الترويج للمذهب في بعض المدن الإسلامية وبالخصوص في مدن الشمال الافريقي.

الهوامش:

(i)البرادي، الجواهر المنتقاة، ص ٦٠

(٢)عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي، يكنى بابي بكر وقيل ابو خباب، خرج على الدولة الاموية واعتصم بالكعبة, قتله الحجاج بن يوسف سنة (٧٣هـ)، ينظر: ابن حبان، الثقاة،ج٣، ص٢١٢

(iii)عوض محمد خليفات، نشأة الحركة الاباضية، ص٦٧

(iv) القلهاتي، الكشف والبيان، ج١، ص١١

(٧)عبدالله بن اباض المقاعسي المري التميمي، من زعماء الاباضية وشيوخها، كانت له مناظرات مع رجال المذاهب الاخرى واشهرها مع عبد الملك بن مروان، يحضى بمنزلة كبيرة عند الاباضين، توفي اواخر حكم عبد الملك بن مروان، قيل انه ترك الخوارج وعاد الى الاعتزال، ينظر: ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج٣، ص٢٤٨

(٦) جابر بن زيد الأزدي اليحمدي، يكنى أبو الشعثاء أصله من الجوف ناحية بعمان وكان ينزل البصرة في الأزد في موضع درب الجوف يروى عن بن عباس وابن عمر روى عنه عمرو بن دينار وكان بن عباس يقول لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علما مات سنة (٩٣هـ)، بنظر: ابن حبان، الثقات،ج٤، ص١٠٤

(vii) عوض محمد خليفات، نشاة الحركة الاباضية، ص٨٢

(viii) مجموعة باحثين ، موسوعة طبقات الفقهاء، ج١، ص ٤٢٨- ٤٢٩

(ix) عوض محمد خليفات، نشأة الحركة الاباضية، ص٨٣

(x) مجموعة من الباحثين، موسوعة طبقات الفقهاء، ج١، ص ٤٢٨

(xi) الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٣٨، ٢٣١

(xii) البلاذري، انساب الاشراف ، ج٥، ص١٧٦

(xiii) البلاذري، المصدر نفسه، ج٥، ص١٨١

(xiv) مرداس بن حدير بن عامر بن عبيد الحنظلي التميمي، ويقال ان ادية والدته، يكنى ابو بلال شهد صفين مع الامام علي عليه السلام وانكر التحكيم واصبح من زعامات الخوارج، قتل ايام زياد بن ابيه: للمزيد ينظر: الزركلي، الاعلام، ج٧، ص٢٠٢

(xv) ابو الخير : لم اعثر على ترجمته في الكتب المطلع عليها.

(xvi) عوض محمد خليفات، نشاة الحركة الاباضية، ص ٦٦

(xvii) الشماخي، السير، ص٦١

(xviii) الدرجيني، طبقات المشايخ في المغرب، ج١، ص١٤

(xix) خالد بن عباد وهو من بني عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة السدوسي، يعد من نساك الاباضية وعبادها ، قتل على يد شرطة عبيد الله بن زياد في البصرة، ينظر: البلاذري، انساب الاشراف،ج٥، ص٣٨٩

(xx) الشماخي، السير، ص٥٨

(xxi) ظالم بن عمرو الدؤلي الكناني، ويكنى ابو الاسود من وجوه اهل البصرة قاتل مع الامام علي عليه السلام يوم الجمل، ويعد من اعلام في وضع قواعد النحو، توفي سنة (٦٩هـ)، ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٤، ص٨٦،٨١

(xxii) الميداني، مجمع الامثال، ج١، ص٢٢٤

(xxiii) محمود اسماعيل، الحركات السرية في الاسلام، ص٢٧

(xxiv) محمد عوض خليفات، نشأة الحركة الاباضية، ص١٠٣-١٠٤

(xxv) الرازي، مختار الصحاح، ٣٧٥

(xxvi)ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والاثر، ج١، ص١٩٣

(xxvii) المفيد، تصحيح اعتقاد الامامية، ص١٣٧

(xxviii)السرخسي، المبسوط، ج ٢٤ ،ص٤٥

(xxix) التقية، ص ٢٧

(xxx) ابو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص٤٨٩

(xxxi) سورة ال عمران، الاية (٢٨)

(xxxii) الصدوق، الهداية، ص٥٢

(xxxiii) البلجاء: وهي امراة من بني حرام بن يربوع التميمي، من اهل البصرة ، وكانت من المجتهدات عند الخوارج، قتلها عبيد الله بن زياد ايام ولايته على البصرة، ينظر: ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغةج٥، ص٨٢

(xxxiv) البلاذري، انساب الاشراف، ج٥، ص١٨١؛ الشماخي، السير، ص٦١

(xxxv)الشماخي، السير،ص٥٨

(xxxvi)لم اعثر على ترجمه له في المصادر المطلع عليها.

(xxxvii)ابو حاتم الرازي، الجرح والتعديل،ج٢، ص٤٩٥

(xxxviii)ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٨١

(xxxix) الشماخي، السير، ص٨٦

(xl)الحارثي، العقود الفضية في اصول الاباضية، ص١٠٦

(xli)الشماخي ، السير، ص٧٠

(xlii) الفراهيدي، العين، ج٥، ص٣٥٥

(xliii) الدرجيني، طبقات المشايخ، ج١، ص ٩٥

(xliv) عوض محمد خليفات، نشاة الحركة الاباضية، ١٠٦

(xlv) الدرجيني، طبقات المشايخ الاباضية، ص٩٥

(xlvi) الشماخي، السير ، ص٩٩-١٠٠

([xlvii]) محمود اسماعيل عبدالرزاق ، الخوارج في بلاد المغرب، ص٥٢
([xlviii]) مسلم بن ابي كريمة االبصري، التميمي، يكنى ابو عبيدة من فقهاء الاباضية ، تتلمذ على يد جابر بن زيد ويعد مرجعا للمذهب الاباضي بعد جابر بن زيد، لقب بالقفاف لكونه كان يتنكر بصناعة السلال. ينظر: الزركلي، الاعلام/ ج٧، ص٢٢٢-٢٢٣
([xlix]) عوض محمد خليفات، نشأة الحركة الاباضية، ص١٠٢
([l]) الربيع بن حبيب بن عمر الفراهيدي البصري، من رجال الاباضية المتقدمين ، عرف عنه التدين والزهد والورع وكان ينوب عن ابو عبيدة مسلم في مواسم الحج، للمزيد، ينظر: الشماخي، السير، ص٩٥- ٩٦
([li])منصور الرياحي: لم اعثر على ترجمة له.
([lii]) بشير بن المنذر الترواني: لم اعثر ترجمة له.
([liii]) سلمة بن سعيد بن عطية البصري ، ويقال بن عطاء البصري، يعد من خيار اهل البصرة، ينظر: المزي، تهذيب الكمال، ج١١، ص٢١٨
([liv]) كرمة بن عبد الله: لم اعثر على ترجمة له.
([lv])عوض محمد خليفات، نشأة الحركة الاباضية، ص١٠٤
([lvi])الشماخي، السير، ص٧١
([lvii]) محمود اسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص٥٢
([lviii])عبد الرحمن بن رستم بن بهرام مؤسس مدينة تاهرت، وهو اول ملك لدولة الرستمية، يعد من فقهاء الاباضية، للمزيد ينظر، الزركلي، الاعلام،ج٣، ص٣٠٦
([lix])الدرجيني، طبقات المشايخ الاباضية، ج١، ص٢٠
([lx]) عاصم السدراتي: لم اعثر على ترجمة له
([lxi]) ابو داود القبلي النزاوي: لم اعثر على ترجمة له.
([lxii]) اسماعيل بن درار: لم اعثر على ترجمة له.
([lxiii])محمود اسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ص ٥٤-٥٥
([lxiv])محمود اسماعيل ، الحركات السرية في الاسلام، ص٢٧
([lxv]) لم اعثر على ترجمة له.
([lxvi]) المثنى بن المعرف، من اعلام الاباضية ومن طبقة الربيع بن حبيب، وكان تقيا فاضلاً، له العديد من النشاطات في الحركة الاباضية، ينظر: الشماخي، السير، ص١٠١-١٠٢
([lxvii]) الشماخي، السير، ص ١٠١-١٠٢
([lxviii]) الدرجيني، طبقات مشايخ الاباضية ، ص١٠٣، ١٠٨
([lxix]) ابو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص١٤٤
([lxx]) محمود اسماعيل ، الخوارج في بلاد المغرب، ص٥٢-٥٣
([lxxi]) الدرجيني، طبقات المشايخ، ج١ص٢٠
([lxxii]) مهدي طالب هاشم، الحركة الاباضية في المشرق العربي، ص ٨٩
([lxxiii]) محمود اسماعيل ، الحركات السرية في الاسلام، ص١٠٧
([lxxiv]) لم اعثر على ترجمة له.
([lxxv]) الشماخي، السير، ص٧١
([lxxvi]) عاتكة بنت المهلب بن ابي صفرة الازدي، من اهل عمان، وتعد من النساء البارزات في تنظيم الحركة الاباضية، ينظر، الشماخي، ص٩٩
([lxxvii]) الشماخي ، السير، ص٩٨
([lxxviii]) الشماخي ، السير، ص١٠٥
([lxxix]) حاجب الطائي، يكنى ابو مودود، البصري يعد من شيوخ الاباضية البارزين ومن المقربين من ابو عبيدة مسلم، وله مساهمات كبيرة في نجاح وانتشار الحركة الاباضية، للمزيد: ينظر، الشماخي، السير، ص٨٤-٨٦
([lxxx]) عوض محمد خليفات ، نشأة الحركة الاباضية، ص١١٥
([lxxxi]) الدرجيني، طبقات مشايخ الاباضية، ج١، ٢٠٥

([lxxxii]) عبدالله بن يحيى بن عمرو بن شرحبيل الكندي، لقب بطالب الحق، من اهل حضرموت، قام بالثورة على الوالي الاموي في اليمن، قتل في معركة القديد سنة (١٣٠هـ)، ينظر: البلاذري، انساب الاشراف،ج٩، ص٢٩٥
([lxxxiii])الطبري، تاريخ ، ج٦، ص١٨
([lxxxiv]) اليعقوبي، مروج الذهب، ج٣، ص٢٤٢[(lxxxiv)]
([lxxxv]) عوض محمد خليفات، الحركات السرية في الاسلام، ص٢٧

قائمة المصادر

القران الكريم

اولاً: المصادر الاولية
*** أبن الأثير ، مجد الدين بن محمد (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م)**

١ – النهاية في غريب الحديث والاثر (تحقيق ، طاهر احمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، مؤسسة اسماعيليان – قم

*** البرادي، ابو قاسم بن ابراهيم(ت بعد ٨١٠هـ)**

٢- الجواهر المنتقاة في اتمام ما اخل به كتاب الطبقات

*** البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)**

٣ – أنساب الأشراف (تحقيق ، محمد باقر محمودي ، مؤسسة الأعلمي – بيروت / ١٩٧٤م) .

*** أبن أبي حاتم الرازي ، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت ٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م)**

٤- الجرح والتعديل (دار احياء التراث العربي – بيروت/ ١٩٥٢)

*** أبن حبان البستي ، أبو حاتم محمد (ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م)**

٥ – الثقاة (مؤسسة الكتب الثقافية – (د.م)/ ١٣٩٣هـ)

*** أبن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م)**

٦ – لسان الميزان (ط٢ ، مؤسسة الأعلمي – بيروت ١٩٧١م)

*** أبن أبي الحديد المعتزلي ، عبد الحميد بن محمد بن محمد (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م)**

٧ – شرح نهج البلاغة (تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢، دار إحياء الكتب العربية – (بيروت/ ١٩٦٧م)

*** الدرجيني، احمد بن سعيد (ت ٦٧٠هـ/١٢٧١م)**

٨- طبقات المشايخ في المغرب (تحقيق، ابراهيم طلاي، (د.م) /(د.ت)

*** الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)**

٩ – سير أعلام النبلاء (تحقيق الكتاب وأخرج أحاديثه ، شعيب الارنؤوط ، ط٩ ، مؤسسة الرسالة – بيروت١٩٩٣م) .

*** الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م)**

١٠– مختار الصحاح (دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٤م) .

***السرخسي ، شمس الدين ابو بكر بن ابي سهل (ت٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م)**

١١ – المبسوط (دار المعرفة – بيروت /١٤٠٧هـ)

*** أبن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م)**

١٢ – الطبقات الكبرى (دار صادر – بيروت / د . ت) .

***الشماخي، احمد بن سعيد بن عبدالواحد(ت٩٢٨هـ/١٥٢٢م)**

١٣- كتاب السير (تحقيق، احمد بن سعود السيابي،ط٢،(د.م) / ١٩٩٢م)

*** الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت ٣٨١ هـ / ٩٩١ م)**

١٤- الهداية في الاصول والفروع (تحقيق، مؤسسة الامام الهادي ، مؤسسة الامام الهادي- قم/ ١٤١٨هـ)

*** الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)**

١٥ – تاريخ الرسل والملوك (مؤسسة الأعلمي – بيروت /١٩٨٣ م) .

*** أبن فارس ، أحمد بن زكريا (ت ٣٩٥ / ١٠٠٤ م)**

١٦ – معجم مقاييس اللغة (تحقيق وضبط ، عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الإعلام الإسلامي – قم / ١٤٠٤ هـ)

*** الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ / ٧٩١ م)**

١٧ – كتاب العين (تحقيق، مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ط مزيدة ، دار الهجرة – إيران / ١٤٠٩ هـ) .

***القلهاتي، محمد بن سعيد الازدي (ت القرن السادس الهجري)**

١٨- الكشف والبيان (تحقيق، سيدة اسماعيل كاشف ، (د.ن) ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)

*** المزي ، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م)**

١٩ – تهذيب الكمال في أسماء الرجال (تحقيق، بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت /١٤١٣هـ)

*** المفيد ، محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م)**

٢٠- تصحيح اعتقادات الامامية (تحقيق، حسين دركاهي، ط٢،دار المفيد بيروت/ ١٩٩٣)

***الميداني، احمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨هـ /١١٢٤م)**

٢١- مجمع الامثال (تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، المعاونية الثقافية – ايران/ ١٩٨٧)

*** أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م)**

٢٢– معجم الفروق اللغوية (مؤسسة النشر الإسلامي – قم /١٤١١هـ)

*** اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م)**

٢٣ – تاريخ اليعقوبي (دار صادر – بيروت / د . ت) .

<u>المراجع الحديثة:</u>

***الانصاري، مرتضى (ت١٢٨١هـ/ ١٨٦٦م)**

٢٤- التقية (تحقيق، فارس الحسون، مؤسسة قائم ال محمد – قم/ ١٤١٢هـ)

***الحارثي، سالم بن حمد بن سلمان**

٢٥- العقود الفضية في اصول الاباضية (ط٢ وزارة التراث والثقافة – مسقط / ٢٠١٧)

***خليفات ، عوض محمد**

٢٦- نشأة الحركة الاباضية (عمّان / ١٩٧٨)

*** الزبيدي ، محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م)**

٢٧ – تاج العروس من جواهر القاموس (ط ١ ، دار الفكر – بيروت /١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م) .

*** الزركلي ، خير الدين (ت : ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩ م)**

٢٨ – الاعلام (ط ٥ ، دار العلم للملايين – بيروت /١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م)

***عبد الرزاق، محمود اسماعيل**

٢٩- الحركات السرية في الاسلام (ط٥، الانتشار العربي – بيروت/١٩٩٧)

٣٠- الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري(دار الثقافة – المغرب/_د.ت)

*** مجموعة من المؤلفين**

٣١- موسوعة طبقات الفقهاء (مؤسسة الامام الصادق _ قم /١٤١٨هـ)

<u>الرسائل الجامعية:</u>

***هاشم، مهدي طالب**

٣٢- الحركة الاباضية في المشرق العربي نشأتها وتطورها حتى نهاية القرن الثالث الهجري(رسالة ماجستير – جامعة بغداد / ١٩٧٧م)

Research title: The Secret Organization of the Ibadi Movement in the Umayyad Era

Lecturer. Dr. Mustafa Salim Hazim University Of Basrah. college of Arts